ومـن عَـجَـبٍ أنِّـي إذا لاحَ بـارِقٌ بأرِضكُمُ اسْتَمْطَرْتُ أجفانيَ الوَدْقا
وما خِلْتُ هذا البَرْقَ إلا ابتسامةً لسُعدى أضاءتْ عند إيماضها الأُفْقا
تمنَّيْتُ لو يُغني التَّمنِّي لقاءَها وَوَقْعُ رماحِ الخَطِّ مِنْ دون أن تَلْقى
لقد صَدَقُوا إنَّ الشَّقيَّ أخو الهوى ولكنَّ مَنْ يهوى سعادَ هو الأَشْقى
وقول على ما بي من السُّقْمِ والضَّنا أيا حبَّذا سُعدى وما أَطْيَبَ العِشْقا
خليليَّ هل أَيَّامُنا بسُوَيْقةٍ رواجعُ أَمْ طارتْ بأيَّامنا العَنْقا
فيا عِيْشَةً خضراءَ لو بقيتْ لنا ولا خَيْرَ في عَيْشٍ إذا هو لا يَبْقى
إذا الرِّيحُ من شَرْقيِّ مَرْوٍ تنفَّسَتْ فيا بَرْدَ صَدْرِي حين أَنْشِقُها نَشْقا
وما تُطِيْبني أيكةٌ غير أنَّني أُساعد في شَجْو الحمامِ بها الوَرْقا

السنة التَّاسعة والثَّلاثون وخمس مئة

فيها فَتَحَ زَنْكي الرُّها.

كان في قلبه منها أمرٌ عظيم؛ لكونها وسط بلاد الإسلام، ومَعْقِل منبع الكُفَّار، فطرح العيون على جوسلين صاحبِها، فاتَّفق أَنَّه خَرَجَ منها بعساكره نحو حِصن منصور، فحال زَنْكي بينه وبينها، وحَصَرها وضربها بالنَّار، وبالمجانيق، وحشد التركمان والنَّقابين الحلبيين وغيرهم، ونُقِبَ سورها، وعُلِّق بالأخشاب، وضربوا فيه النَّار، فوقعت منه قطعةٌ، فدخلها عَنْوَةً بالسَّيْف، فقتل وأسر، وأخذ منها أموالاً عظيمة، وكان بها من أسارى المسلمين ألف وخمس مئة، فَخُلِّصوا، وقيل: كانوا خمس مئة، ثم رَمَّ السُّور[1]، وكتب للنَّصارى أماناً، وأحسن إلى الرَّعية، وأراد أن يبني بها جامعاً، فقال له أصحابه: اجعل الكنيسةَ جامعاً. فقال: نَعَمْ. وشَرَعَ في إصلاح الكنيسة، وهيأها، ولم يبق إلا موضع المحراب، فجاء ومعه أرباب دولته والصُّناع، واتفقوا على موضع المحراب اليوم، فحفروا أساساً عميقاً، وإذا بصخرة ظهرت مكتوب عليها سطران بالسريانية، فجاء شيخ يهوديٌّ، فحلَّها، ونقلها إلى العربية، وهذا ما فيها: [من السريع]

(١) رَمَّ السور: أصلحه. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٦٥٣.

أصبحتُ خِلْواً من بني الأَصفَرِ أختالُ بالأَعْلامِ والمِنْبرِ
مُطَهَّرَ الرَّحْبِ على أَنَّني لولا ابن آق سُنْقُر لم أُطَهَّرِ[1]

فاشتدَّ تعجُّبِ أتابك والجماعة.

وكان عند ملك طُلَيْطُلة[2] رجلٌ من علماء المُسْلمين، وكان الملك يُحِبُّه ويكْرمه، فجهَّز جيشاً إلى جهة إفريقية، فقتلوا وأسروا من المسلمين، وعادوا والعالم عند الملك جالِسٌ وقد نَعَسَ، فأيقظه الملك، وقال: ما ترى ما قد فعل أصحابُنا بالمسلمين، وأين دين محمدكم من نُصرتهم؟ فقال الرجل: كان قد حضر فتح الرُّها. فعجب الملك والقوم، واستهزؤوا به، فقال الملك: لا تضحكوا، فوالله ما قال شيئاً إلا وأصاب. فوصل الخبر بعد ذلك بأن الرُّها فُتِحَتْ في ذلك التاريخ.

وسار أتابك ففتح سَرُوج وما حول الرُّها من الحصون، وجاء إلى حِصن البيرة فنازله وضايقه، ولم يبق إلاّ فتحه، فجاءه الخبر بأن نصِير الدّين جَقَر نائبه بالمَوْصل قد قُتِلَ، فعاد إلى المَوْصل.

وحجَّ بالنَّاس نَظَر الخادم.

فصل: وفيها توفي

جَقَر بن يعقوب بن نصِير الدِّين

نائب أتابك بالمَوْصِل وغيرِها من بلاده.

كان شجاعاً شَهْماً مهيباً مدبِّراً، وسببُ قَتْله أَنَّه كان في كفالة زَنْكي رسلان خان، وقيل تركان شاه ابن السُّلْطان محمود بن محمد بن مَلِك شاه[3]، وبه كان يحتج على

(١) الشطر الثاني من البيت الثاني غير متزن، وفي «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧٥ : لولا ابن سنقر لم أظهر، وكذلك لا يتزن، وقد ساق نحو هذه القصة ابن العديم في «بغية الطلب»: ٤/ ٧٧، وفي النفس من هذه القصة أشياء.

(٢) في «الباهر» لابن الأثير: ص٧٠ : صقلية، وهو الأشبه، وقد قال ابن الأثير: وحكى لي أيضاً بعض العلماء بالأخبار والأنساب.. ثم ذكر نحو هذه القصة، ونقلها عنه أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٤٠-١٤١ .

(٣) كذا ورد في (ع) و(ح)، وسماه ابن الأثير في «الباهر»: ٧١ ، و«الكامل»: ١١/ ١٠٦ ألب أرسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان محمود بن محمد، وتعقبه أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٥١ بأن الخفاجي غير ألب أرسلان، إذ كان مع زنكي ملكان من أولاد السلطان محمود، أحدهما يسمى ألب أرسلان، وهو في معقل من معاقل سنجار، والآخر يسمى فرخشاه، ويعرف بالخفاجي، وهو بالموصل. وهذا الأخير هو الذي قتل جقر.

الخلفاء والسَّلاطين ويقول لمسعود: أنا أحفظ البلاد له. ويصدر الكُتُبَ باسْمِهِ، وبه سمِّي أتابك، ومعناه الوالد، وكان مقيماً بالمَوْصل، ولمَّا اشتغل زَنْكي بفتح الرُّها وسَرُوج والبيرة أشار على رسلان خواصُّه بالفَتْك بنصير الدِّين، وقالوا: تملك المَوْصِل، ولا يقدر أتابك على قَصدك، ولا يوافقه أحد. فاستمال جماعةً من الغِلْمان العمادية نحو أربعين رجلاً من وجوههم. وكان جَقَر على غايةٍ من الاحتراز، ولما تَمَّ ما أراد الصَّبيُّ رَتَّبَ له جماعةً عند دار خاتون، فلمّا جاء جَقَر للسَّلام عليها، ودخل دِهْليز الدَّار وثبوا عليه، فقتلوه، ووثَبَ العوام، فقتلوا أصحاب الصَّبي، وكان نازلاً في دارٍ على الشَّطِّ، وخِيْفَ على المَوْصِل من النَّهْب، فجاء القاضي تاج الدِّين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشَّهْرُزُوري[1] إليه فخدعه، وقال له: قد فعلت ما فعلتَ وأنتَ في دارك، والسَّاعة تهجُمُ عليك العوام فيقتلوك، فاصعَدْ إلى القلعة وتحصَّن بها. فقام وطَلَعَ القلعة، وتحصَّن بها، فاحتاط القاضي عليه، ووكَّل به جماعةً.

ولما بلغ أتابك قَتْلُ جَقَر بَعَثَ زين الدين علي كُوجك ـ وكان كثيرَ الوثوقِ به ـ فأغذَّ السَّيْرَ حتى دخل المَوْصِل، وسكَّنَ الفِتْنة، واحتاط على الصَّبيِّ، وأزال ما جَدَّد جَقَر من المظالم، ولم يزلِ الصَّبي محبوساً تحت الحوطة حتى قُتِلَ زنكي على قلعة جعبر سنة إحدى وأربعين وخمس مئة.

عمر بن إبراهيم بن محمد [بن محمد] بن أحمد[2]

ابن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو البركات، الكوفي، النَّحْوي.

---

(١) كان بارعاً في الفقه، ولد سنة (٤٩٥هـ)، وتوفي على الصحيح سنة (٥٥٦هـ)، انظر «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٤٥ ، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٣ ، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٤٠-٣٤٢ ، وفيه توفي سنة (٥٦٦هـ)، والتاريخ الأول نقله ابن خلكان عن «الخريدة».

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٦/ ٣٤١-٣٤٢ ، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ١٢/ ٦٩٤-٦٩٥ ، و«نزهة الألباء»: ٣٩٩-٤٠٠ ، و«المنتظم»: ١٠/ ١١٤ ، و«معجم الأدباء»: ١٥/ ٢٥٧-٢٦١ ، و«اللباب» لابن الأثير: ٢/ ٨٦ ، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٣٢٤-٣٢٧ ، و«ميزان الاعتدال»: ٣/ ١٨١ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٤٥ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وما بين حاصرتين من المصادر خلا «المنتظم».

ولد سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة بالكُوفة، ونشأ بها، ثم قَدِمَ بغداد، ومضى إلى الشَّام، وأقام بدمشق وحلب مُدَّة، وكتَبَ الكثير، وسَمِعَ وعاد إلى الكوفة، وكان يسكن بمحَلَّة السَّبيع، ويصلِّي بالنَّاس [في مسجد أبي إسحاق السَّبيعي] (١).

وكان عارفاً بالنَّحْو واللُّغة، والتفسير والفقه، وله تصانيف في فنون، وكان خَشِنَ العَيْش، صابراً على الفقر.

وتوفي يوم الجمعة سابع شعبان بالكوفة، ودُفِنَ بمقبرة العلويين، وصلَّى عليه نحو ثلاثين ألفاً، وعاش حتى قارب المئة، وكان يفتي ظاهراً بمذهب أبي حنيفة، وباطناً على مذهب زيد بن علي، وقد تكلَّموا فيه.

محمد بن الحسن بن كامل(٢)

القاضي الأندلسي، [ويُعرف بابن الفخَّار، و](٣) كان فقيهاً، شاعراً، فمن شعره في مَرَّاكُش: [من الطويل]

وأرضٍ سكنَّاها فيا شَرَّ مَسْكَنٍ ... بها العَيْشُ نَكْدٌ والجناحُ مَهِيْضُ
نَروحُ ونغدو ليس إلا مروِّع ... عقاربُ سودٌ أو أراقمُ بِيْضُ (٤)

ومات بالمغرب.

هبة الله بن الحسين(٥)

أبو القاسم البديع الأَسْطُرلابي، فريد وقته في عمل الأَسْطُرلابات، وآلات الفلك والطِّلَّسْمات، وتوفي بعدما فُلج، ومن شعره: [من الكامل]

---

(١) ما بين حاصرتين مثبت من «المنتظم»: ١٠/ ١١٤.

(٢) له ترجمة في «بغية الملتمس»: ٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٣٣٤-٣٣٩، و«المحمدون من الشعراء»: ٤٠٧-٤٠٨، و«المغرب في حلى المغرب»: ١/ ٤٣٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٣٥٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٣٣٩.

(٥) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٩/ ٢٧٣-٢٧٥، و«أخبار العلماء» للقفطي: ٢٢٢، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٣٧٦-٣٨٠، و«وفيات الأعيان»: ٦/ ٥٠-٥٣، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٢٦٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٢-٥٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وعندهم وفاته سنة (٥٣٤هـ).

أهدي لمجلسك الشَّريفِ وإنَّما أُهدي له ما حُزْتُ من نَعْمائِهِ
كالبَحْرِ يُمْطِرُهُ السَّحابُ وما لَهُ مَنٌّ عليه لأَنَّه من مائِهِ

[وروي أنَّه مَرَّ به رجلٌ ظريف، وبيده أَسْطُرلاب، وهو ينظر فيه، فقال: [من السريع]

قامَ إلى الشَّمْسِ بآلاتِهِ ينظر بالتخمين والحَدْس
فقلتُ: أينَ الشمسُ قال الفتى في الثور قلتُ الثور في الشمسِ[1]

وروي أن الأسطرلابي خرج مع المسترشد في صفر، فوقع الوباء في العسكر، ومعهم طبيب نصراني، فكان كل من طبَّه مات، وكنية الطبيب أبو الفتح، فقال الأَسْطُرلابي:

يا أبا الفَتْح اقتلِ القوم برفـ ـقٍ ومُهْلَةٍ واقتصادِ
قبل أن يصبح المعسكر قاعاً فتمزمز[2] بهم إلى بغداد[3]

وكانت وفاته في هذه السنة][4].

السنة الأربعون وخمس مئة

فيها دخل السُّلْطان مسعود بغداد، وسببه أَنَّ العساكر اجتمعوا بالرَّي على طاعته منهم بوزبا وعَبَّاس، وكان معهم محمد شاه بن محمود، وكان مسعود بهَمَذَان، فاستشعر من اجتماعهم، فقصد العراق، فجاء بوزبا والعساكر إلى هَمَذَانَ، وجاءهم سليمان شاه بن محمد، فقطعوا خُطْبة مسعود، وخطبوا لمحمد شاه وبعده لسليمان شاه، واتَّفقوا على حَرْبِ مسعود.

وقيل، وهو الأشهر: إنَّ مسعوداً إنما دخل بغداد هرباً من أخيه سليمان شاه، وكان قد اتَّفق على محاربة مسعود أعيانُ الأُمراء مثل بوزبا صاحب خوزستان، وعباس صاحب الرَّيِّ، وأقبل السِّلَحْدار، فجاؤوا إليه وهو بهَمَذَان، فهزموه، فسار إلى بغداد، وأقام سليمان شاه في الري، وأكثرُ الأُمراءِ عنده، فجمع مسعود العساكر، وخرج من

(١) البيتان في «معجم الأدباء»: ١٩/ ٢٧٥، و«طبقات الأطباء»: ٣٧٧، وعجز البيت الأول فيهما: لينظر السَّعْد من النحس.

(٢) لعلها من العامية مزمز، من «مزمز فلان الكأس» أي تَرَشف ما فيه بمهل واستمتاع. انظر «معجم عطية»: ١٤٨.

(٣) البيت الأول غير متزن، والثاني من الخفيف!

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).